

من مآثر بعشر

لا اعلم ان كان سوء الحظ او حسن الطالع ان يتزامن شهريوليو والحزين مع احداث جلل فى حياتى..حزنا و مسره ..ضارة و نافعه؟ وان يتعاقب فيه رحيل صديق العمر عثمان حسين و وفاة استاذ الجيل البروفسير طه بعشر.. وان احضر الماتمين فى وقت واحد.

تعرفت على البروفسير طه بعشر فى حزيران عام 1965 م بعد تخرجى من طب جامعة الخرطوم لاجد نفسى بعد عودتى من اجازة العطلة الصيفية مسجلا فى قائمة اطباء الامتياز فى (عيادة بعشر) ولم يكن هنالك قسم و لا عنبر ولا هويه او مرجعيه ..تكفى كلمة (بعشر) فكان ..وظل و يبقى الأب الروحى للطب النفسى داخل و خارج السودان.

وبعد ما هطلت سحابات الرحمة باذن ربى و كرم استاذى الجليل وضمنى اليه بكل اشكال المغريات المهنيه و رغم اننى كنت ارغب فى تخصص الباطنية بوعد من (أبو الطيب) البروفسير الراحل داؤود مصطفى الان الدكتور بعشر اختارنى بحكم عضويته فى لجنة توزيع اطباء الامتياز و قد كتبت عن هذه الملابس فى كتابى (رحلتى مع الطب النفسى) و انخرطت فى أوركسترا هواة الطب النفسى بقيادة البروفسير طه بعشر لاجد نفسى اقدم معه برنامجا تلفزيونيا بعنوان (أضواء على النفس البشرية) وكان هذا فى حد ذاته اكبر اغراء و بريقا كافيا لخطف الابصار و حجب الاضواء عن اى رغبة اخرى تعتمل فى صدر اى طبيب صغير يظهر فى شاشة التلفاز القديم الجديد فى ذلك الوقت..وقد جمعت هذه الحلقات و اصدرتها فى كتاب بعنوان (أضواء على النفس البشرية) و متوفلر فى المكتبة اللاكترونيه .

وقد كان البروفسير بعشر متفرغا للطب النفسى..عاشقاله ..عالميا فيه..مؤمنا به..مدافعا عنه..لم يفتح عيادة خاصة به طوال حياته و هو الاكبر و الاشهر و الاقدر على كل ذلك و لكنه أثر الانقطاع لتطوير خدمات الطب النفسى و النماذج البدائيه البسيطة التى بدأ بها اصبحت الان نظريات علميه و برامج تقع فى سلم الاولويات فى التخطيط لخدمات الصحة النفسيه.

واكتفى الدكتور بعشر بال كفاح فى (عيادة بحرى) رغم المعاناة المادية والمعنوية فى محاربة وصمة المرض النفسى فى زمان كان يكفى ان تختلف مع شخص آخر فتقول له (خذوه الى عيادة بعشر).

لذلك كان يريد لبرنامج التلفزيون ان لا يتوقف ويستمر لانه من خلاله فى اعتقاده قدم خدمات جليلة ليرتفع صوت الطب النفسى داخل اروقة الجامعة ومكاتب صناع القرار... وما كان يريدنى ان انتقل خارج العاصمة ويتوقف البرنامج لان الهواة المحترفين لهذا الضرب من التخصص كانوا قلة تعد على اصابع اليد الواحدة.. ولكننى سافرت الى مدينة (ود مدنى) لافتتاح قسم الطب النفسى المختلف عليه ولكن ذلك لم يعفنى من دفع ضريبة (مناطق الشدة) فسافرت الى مدينة (جوبا) عاصمة المديرية الاستوائية آنذاك وكانت برميل بارود مشتعل يتفجر صباح مساء وكان العاملون فيها محاصرين فى قطر دائرة لا يتعدى بضع كيلومترات وبعدها سافرت الى لندن فى بعثة دراسية للتخصص فى الطب النفسى وكان الدكتور بعشر وزيراً للصحة فى حكومة مايو بعد ان لعب دوراً قيادياً مشهوداً فى جبهة الهيئات فى ثورة اكتوبر..

عدت من البعثة لاسافر الى مدينة (كوستى) لافتتاح قسم الطب النفسى لاقليم النيل الابيض و الاقليم الجنوبى بدعم من صديق الدراسة الراحل الدكتور جستن ياك أروب من ابناء الجنوب والذى اصبح وزيراً للصحة للاقليم الجنوبى بعد (اتفاقية أديس ابابا) وعندئذ كان الدكتور بعشر قد انتخب مستشاراً اقليمياً للصحة النفسية لاقليم شرق البحر الابيض المتوسط (الأمرو) خلفاً للزميل الاكبر الدكتور التجانى الماحى والذى عاد الى جامعة الخرطوم.

وبعدها سافرت الى الخليج .. وعندما تم عقد امتحان البورد العربى للطب النفسى فى مدينة ابوظبى والذى كنت اتشرف بادارته كان الدكتور بعشر اول الحاضرين من هيئة الاساتذة الممتحنين لانه لا تكتمل صورة فى هذا الحجم الا وفى اطرافها صورة بعشر.. ولاننى ما ذهبت الى أى مؤتمر عالمى الا وسالنى احد الاطباء الاجانب ان كنت اعرف الدكتور بعشر فان قلت نعم اعطانى قيمه و ان قلت لا تركنى غنيمه وهكذا كانت صورة و سمعة البروفسير طه داخل و خارج السودان.

وفى المرة الاخيرة التقيت بالدكتور عبد الرزاق الفكى كبير اخصائى الطب النفسى بوزارة الصحة و كنت ممثلاً لدولة الامارات العربية فى الاجتماع الاقليمى لهيئة الصحة العالمية فى الاسكندرية فاخذته لاعرفه

بالدكتور احمد محيط المستشار الاقليمي الحالى للمنظمة فشهد فى مكتبه صورة البروفسير التجانى الماحى والبروفسير طه بعشر اوائل المستشارين الاقليميين للمنظمة فخرج منشرحا و نادى الاخوة المندوبين العرب وقال مداعبا: هذا هو السودان فى الخمسينيات فاين كنتم انتم؟ فرد عليه احدهم مشاغبا: وأين أنتم الان؟؟

لقد كان البروفسير طه بعشر ملهما فى الماضى ..ومعلما فى الحاضر.. ومرجعا للمستقبل..وهذه بعض مآثر بعشر..غيب من فيض وقطرة من بحر..

الارحم الله البروفسير طه بعشر و امطر على قبره شأبيب الرحمة و أسند رأسه على وسادة الغفران.